الدرس الثالث والعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والعاقبة للمتقين ، وأشهد أن لا إله إلا اللهُ وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين . أما بعد :

قال الإمام الحافظ عبد الغني بن عبد الواحد المقدسي رحمه الله تعالى في كتابه «عمدة الأحكام» :

كتاب الصلاة – بابٌ التَّشهدِ

١٢٥ – عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه قَالَ: ((عَلَّمَنِي رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم التَّشَهُّدَ – كَفِّي بَيْنَ كَفَّيْهِ – كَمَا يُعَلِّمُنِي السُّورَةَ مِنْ الْقُرْآنِ : التَّحِيَّاتُ لِلَّهِ وَالصَّلَوَاتُ وَالطَّيِّبَاتُ ، السَّلامُ عَلَيْكَ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ ، السَّلامُ عَلَيْنَا وَعَلَى عِبَادِ اللَّهِ الصَّالِحِينَ ، أَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ)) . وَفِي لَفْظٍ: ((إِذَا قَعَدَ أَحَدُكُمْ فِي الصَّلاةِ فَلْيَقُلْ: التَّحِيَّاتُ للهِ – وَذَكَرَهُ – وَفِيهِ: فَإِنَّكُمْ إِذَا فَعَلْتُمْ ذَلِكَ فَقَدْ سَلَّمْتُمْ عَلَى كُلِّ عَبْدٍ لله صَالِحٍ فِي السَّمَاءِ وَالأَرْضِ . وَفِيهِ : فَلْيَتَخَيَّرْ مِنْ الْمَسْأَلَةِ مَا شَاءَ)) .

****

قال المصنف الإمام عبد الغني رحمه الله تعالى في كتابه «عمدة الأحكام» : ((**بابٌ التَّشهدِ**)) والمراد بالتشهد : أي في الصلاة ، سواءً في الجلسة التي تكون في وسط الرباعية ؛بعد الثانية من الرباعية والثلاثية ، أو في آخر الصلاة رباعيةً كانت أو ثلاثية أو ثنائية .

والصلاة الرباعية والثلاثية فيها تشهدان : الأول منهما واجب من واجبات الصلاة ، والثاني ركن من أركانها ؛ ولهذا إذا تُرك الأول –قام الإمام واستوى قائما قد ترك التشهد الأول نسياناً له– لا يرجع إليه لأنه من واجبات الصلاة ، أما الركن فإنه لابد أن يرجع إليه ، لأن الركن لا تتم الصلاة إلا به . فالتشهد الأول من واجبات الصلاة ولهذا جبره النبي عليه الصلاة والسلام بسجدتين عندما نسيه ، وأما التشهد الأخير فإنه ركنٌ من أركان الصلاة . وأما الصلاة ذات الركوعين فإن التشهد فيها وهو تشهد واحد يُعد ركنًا من أركانها .

وسمي تشهدًا: لذِكر الشهادتين فيه ؛ شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله؛ وهما أعظم الكلمات وأجلُّها.

أورد رحمه الله تعالى أولًا حديث عَبْدِ اللَّهِ بنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه قَالَ: ((**عَلَّمَنِي رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم التَّشَهُّدَ وَكَفِّي بَيْنَ كَفَّيْهِ**)) أي كف عبد الله بن مسعود بين كفي رسول الله صلى الله عليه وسلم . وهذه كما بيَّن العلماء رحمهم الله ليست من باب المصافحة ، لأن السنة المأثورة عن النبي صلى الله عليه وسلم المنقولة عنه في الأحاديث الكثيرة في المصافحة أنها بيدٍ واحدة ؛ اليمين تصافح اليمين ليست باليدين وإنما باليمين . وسميت مصافحة لأن كلًّا من المسلِّمين أو المتصافحين يضع صفحة يده على صفحة يد الآخر ، ولهذا تسمى مصافحة ، فإذا أضيف إلى اليمين الشمال زاد على المصافحة أن الشمال ستكون على ظهر اليد ، والمصافحة تكون صفحة اليد على صفحة اليد الأخرى ، ولهذا السنة في المصافحة المأثورة عن النبي صلى الله عليه وسلم والمروي عن الصحابة رضي الله عنهم : اليمين باليمين ؛ يصافح المرء بيمينه يمين الآخر ، فهذه السنة .

وأما قول ابن مسعود هنا «كَفِّي بَيْنَ كَفَّيْهِ» هذا ليس من باب المصافحة ، وإنما من باب الأخذ باليد عند الاهتمام بالتعليم ، مثل ما جاء في الحديث الآخر في صحيح البخاري قال ((أَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمَنْكِبِي فَقَالَ: «كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ أَوْ عَابِرُ

سَبِيلٍ»)) هذا الأخذ المقصود به : الاهتمام في مقام التعليم ، فكون النبي صلى الله عليه وسلم جعل كف ابن مسعود بين كفيه وهو يعلِّمه هذا نوع من الملاطفة والاهتمام في هذا المقام مقام التعليم لهذه الكلمات العظيمة كلمات التشهد .

قال : ((**كَمَا يُعَلِّمُنِي السُّورَةَ مِنْ الْقُرْآنِ**)) من المعلوم أن السورة من القرآن يجب أن تُحفظ بألفاظها كما جاءت ، تراعى في السورة بأن تحفظ كما وردت لا يُغيَّر لا في حرف ولا في حركة إعرابية ولا غير إعرابية يؤتى به كما ورد. فإذًا قوله «كَمَا يُعَلِّمُنِي السُّورَةَ مِنْ الْقُرْآنِ» يدل على أن المسلم يلزمه أن يحفظ ألفاظ التشهد كما جاءت . والملاحظ أن بعض عوام المسلمين أمضى حياته كلها وهو يأتي بالتشهد بألفاظٍ ليست الألفاظ المأثورة ، بل يكون قد أحدث فيها تغييرًا سواء في الألفاظ أو في الحركة الإعرابية أو الحركة غير الإعرابية ، حتى إن بعضهم ليغير المعنى ، فقول ابن مسعود «كَمَا يُعَلِّمُنِي السُّورَةَ مِنْ الْقُرْآنِ» يدل على أهمية العناية بألفاظ التشهد والإتيان بها كما جاءت عن الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام .

قال : ((**التَّحِيَّاتُ لِلَّهِ**)) والمراد بالتحيات : أي التعظيمات الكاملات التامات ؛ كلها لله ، لا تُصرف إلا له ؛ من خضوعٍ وذل وسجودٍ وركوع وغير ذلك هذا كله لله لا يُصرف لأحدٍ سواه . فقوله ((**التَّحِيَّاتُ لِلَّهِ**)) أي خالصة لا تُصرف إلا له ، أي جميع التعظيمات من خضوع وركوع وسجود بما في ذلك الصلاة ، الصلاة من جملة التحيات التي لا تكون إلا لله . وعطْفُها على التحيات من باب عطف الخاص على العام ؛ اهتمامًا به .

((**التَّحِيَّاتُ لِلَّهِ وَالصَّلَوَاتُ**)) ؛ الصلوات قيل على معناها اللغوي وهو الدعاء أي الدعاء كله لله ، وقيل على المعنى الشرعي وهي ذات الركوع والسجود فرضها ونفلها لله . وكل من الدعاء والصلوات فرضا ونفلا لله لا يُصرف شيء منه لغيره ، وصرْفه لغير الله شرك أكبر ناقل من الملة ، فلا يُدعى إلا الله ولا يصلَّى إلا لله سبحانه وتعالى .

((**وَالطَّيِّبَاتُ**)) أي من الأقوال والأفعال لله سبحانه وتعالى ؛ لأن الله عز وجل طيبٌ لا يقبل إلا الطيب ، ومن أسمائه تبارك وتعالى «الطيِّب» وهو اسم دال على الطيب في أفعاله وصفاته وكلماته ، فالله عز وجل أسماؤه كلها طيبة ، وصفاته كلها طيبة ، وأفعاله كلها طيبة ، وأقواله كلها طيبة ، وشرعه كله طيب ، ولا يقبل سبحانه إلا الطيب من الأقوال والأفعال . ولا تكون الأقوال والأفعال طيبة إلا إذا أُخلصت لله وكانت موافقةً لشرعه ، فإذا لم تكن خالصة أو لم

تكن موافقة للشرع لا تكون طيبة . والمؤمنون هم أهل الطيب ، وإذا كمَّلوا إيمانهم كمُل طيبهم ، ولا يدخل الجنة إلا الطيبين كما في القرآن ﴿ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا ﴾[الزمر:٧٣] ؛ رُتِّب دخولهم الجنة معطوفا على قبله بحرف الفاء مما يُشعر أن سبب الدخول هو طيبهم ؛ أي بسبب طيبكم ادخلوا الجنة ، والمراد بطيب المؤمن أي بتوحيده لله وإخلاصه دينه لله واتباعه لشرع الله سبحانه وتعالى وبُعده عن معصية الله سبحانه وتعالى . فالطيبات لله أي من الأقوال والأعمال والأفعال ؛ فهو طيب لا يقبل إلا طيبا ﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ ﴾[فاطر:١٠] .

((السَّلامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا النَّبِيُّ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ)) هذه دعوات للنبي عليه الصلاة والسلام ؛ بعد التعظيمات لله جل في علاه خُصَّ النبي عليه الصلاة والسلام بهذه الدعوات : «السَّلامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا النَّبِيُّ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ» ؛ السلام : هذا دعاء بالسلامة من كل نقص وعيب . ورحمة الله : دعاء بالرحمة وهي تتضمن حصول الخير . وبركاته : دعاء بالبركة وهي تتضمن الزيادة في الخير والنماء ، لأن البركة تعني الزيادة والنماء .

فالرحمة تفيد حصول الخير ، والبركة تفيد نماء الخير وزيادته ؛ فجمعت هذه الكلمات الثلاث «السَّلامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا النَّبِيُّ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ» السلامة من النقص وحصول الخير ونماء الخير ، لاحظ جمعت السلامة من النقص والعيب ، وحصول الخير وجوده ، ونماء الخير وزيادته وأن يكون لا يزال في زيادة ونماء .

وكما قدمت هذه دعوات للنبي عليه الصلاة والسلام ؛ فإذا كان يُدعى له فلا يُدعى – وهذا من أدلة التوحيد – إذا كان يدعى له بالسلامة والرحمة والبركة لا يدعى من دون الله فهذا من أدلة التوحيد ؛ فهو عليه الصلاة والسلام عبد يُدعى له بالسلامة والرحمة والبركة ، ومن يدعى له بذلك لا يدعى من دون الله سبحانه وتعالى ، فالدعاء عبادة والعبادة حقٌ لله جل في علاه لا تُصرف إلا له .

وقوله **((أَيُّهَا النَّبِيُّ))** هذا خطاب وهو يؤتى به كما جاء في حياته وبعد مماته ، الصحابة في حياة النبي صلى الله عليه وسلم كانوا يقولون هذه الصيغة «أَيُّهَا النَّبِيُّ» ؛ من كان يصلي معه في مسجده ، ومن كان يصلي في المساجد الأخرى ، ومن كان منهم مسافرا ، وبعد وفاته أيضًا مضوا على هذه الطريقة «أَيُّهَا النَّبِيُّ» . وهذا خطاب والمراد بهذا الخطاب : الاستشعار بأنه من عظم المحبة له كأنه حاضر ، من عظم المحبة القائمة بقلب المؤمن للنبي عليه الصلاة والسلام كأنه

حاضر فيخاطبه هذا الخطاب «أَيُّهَا النَّبِيُّ» ، ومن المعلوم أن هذا خطاب الحاضر لكنه من باب الاستشعار لعظم المحبة وعظم الحق الذي له صلوات الله وسلامه عليه . والحاصل أنه يؤتى به كما جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم وكما علَّم الصحابة رضي الله عنهم وأرضاهم «أَيُّهَا النَّبِيُّ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ» .

((**السَّلامُ عَلَيْنَا وَعَلَى عِبَادِ اللَّهِ الصَّالِحِينَ**)) ؛ «عَلَيْنَا» : أي على هذا المصلي ومن معه من المصلين ، فهذا دعاء خاص للمصلي ومن معه ، ثم عمَّم «وَعَلَى عِبَادِ اللَّهِ الصَّالِحِينَ» وهذا التعميم كما جاء في الحديث نفسه في بعض الروايات فيه يكون بذلك قد سلَّم على كل عبد صالح في السماء والأرض ؛ ((السَّلامُ عَلَيْنَا وَعَلَى عِبَادِ اللَّهِ الصَّالِحِينَ)) قول المصلي «وَعَلَى عِبَادِ اللَّهِ الصَّالِحِينَ» يتناول كل عبد صالح في السماء والأرض ؛ في السماء من الملائكة ، وفي الأرض من عباد الله الصالحين .

وكان الصحابة رضي الله عنهم قبل ذلك يفصِّلون في السلام ؛ السلام على جبريل ، السلام على ميكائيل ، السلام على فلان ، السلام على فلان ، تبقى بهذه الطريقة المسألة طويلة ولا يمكن أن يستقصي كل من يريد أن يسلِّم عليه ؛ فنهاهم النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك وأمرهم أن يقولوا «السَّلامُ عَلَيْنَا وَعَلَى عِبَادِ اللَّهِ الصَّالِحِينَ» قال : ((فَإِنَّكُمْ إِذَا فَعَلْتُمْ ذَلِكَ فَقَدْ سَلَّمْتُمْ عَلَى كُلِّ عَبْدٍ صَالِحٍ فِي السَّمَاءِ وَالأَرْضِ)) . في هذا من الفوائد :كمال الأدعية النبوية وأنها دعوات جامعة ، ألفاظها قليلة وجمعت الخير كله ، وهذا من خصائص الدعوات المأثورة عن النبي الكريم صلوات الله وسلامه عليه .

قوله ((**وَعَلَى عِبَادِ اللَّهِ الصَّالِحِينَ**)) فيه أن العبد الصالح مهما بلغ صلاحه يُدعى له ، ومن كان يُدعى له لا يُدعى من دون الله ؛ وهذا أيضًا من أدلة التوحيد ، وفيه إبطال التعلق بالأولياء والاستنجاد بهم والاستغاثة وغير ذلك ، لأن العبد مهما بلغ من الصلاح يُدعى له ، ومن يدعى له لا يدعى من دون الله ، فالدعاء عبادة لا تصرف إلا لله سبحانه وتعالى .

قال : ((**أَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ**)) وجاء في بعض الروايات الثابتة عن غير واحد من الصحابة في نقل التشهد ((أَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ)) ، وهي ثابتة «وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ» .

و «أَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ» هذه كلمة التوحيد ؛ يعني أقر وأعترف وأذعن بأن الله سبحانه وتعالى المعبود بحق ولا معبود بحق سواه ، فهي كلمة قائمة على ركنين: النفي والإثبات ؛ النفي في أولها ، والإثبات في آخرها ، أولها نفي عام لكل ما يُعبد من دون الله ، وآخرها إثبات خاص للعبادة بكل معانيها لله سبحانه وتعالى وحده .

وقوله «وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ» وهو ثابت كما أشرت فيه تأكيد لكلمة التوحيد ، فإن قوله«وَحْدَهُ» تأكيد للإثبات وقوله « لَا شَرِيكَ لَهُ» تأكيد للنفي ؛ وهذا فيه الاهتمام بمقام التوحيد .

وقوله ((**وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ**)) فيه الشهادة للنبي عليه الصلاة والسلام بالعبودية والرسالة ، وهذه الشهادة فيها التوسط والاعتدال بين الغلو والجفاء ؛ فإذا شهد له بأنه عبد فالعبد لا يُعبد ؛ هذا فيه السلامة من الغلو . وإذا شهد له بالرسالة فالرسول لا يكذَّب بل يطاع ويُتبع ؛ وهذا فيه السلامة من الجفاء . ولهذا «عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ» تُحدِث في المسلم توازنا وتوسطا بين الغلو والجفاء ، بين الإفراط والتفريط ، لأن الإيمان بأنه عبد يبعد المسلم عن الغلو فيه ؛ فالعبد لا يُعبد ولا يضاف له شيء من خصائص الرب . والرسول لا يكذَّب بل يطاع ويتبع ولهذا قال في الحديث : ((لَا تُطْرُونِي كَمَا أَطْرَتْ النَّصَارَى عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلَام فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدٌ ، فَقُولُوا عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ)) أرشد إلى أن يقال ذلك في وصفه صلوات الله وسلامه عليه . ويفهم من هذا السياق أن قول المسلم «عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ» يُبعده عن الغلو ويُبعده عن الجفاء .

قال : ((**وَفِي لَفْظٍ: إِذَا قَعَدَ أَحَدُكُمْ فِي الصَّلَاةِ**)) وهذا فيه التصريح أن موضع التشهد في جلوسه ، سواءً بعد الركعتين الأوليين من الثلاثية والرباعية ، أو في التشهد الأخير من الصلاة الثلاثية والرباعية .

((**إِذَا قَعَدَ أَحَدُكُمْ فِي الصَّلَاةِ فَلْيَقُلْ: التَّحِيَّاتُ للهِ ..**)) وَذَكَرَهُ صلوات الله وسلامه عليه .

قال ((**وَفِيهِ: فَإِنَّكُمْ إِذَا فَعَلْتُمْ ذَلِكَ**)) أي أتيتم بالتشهد كما بُيِّن في الحديث ((**فَقَدْ سَلَّمْتُمْ عَلَى كُلِّ عَبْدٍ صَالِحٍ فِي السَّمَاءِ وَالأَرْضِ**)) وهذا فيه كما قدمت أن الدعوات المأثورة عن النبي صلى الله عليه وسلم جمعت الخير كله ؛ فألفاظها قليلة لكنها جامعة .

قال ((**وَفِيهِ فَلْيَتَخَيَّرْ مِنْ الْمَسْأَلَةِ مَا شَاءَ**)) ولفظه في مسلم ((ثُمَّ يَتَخَيَّرْ مِنْ الْمَسْأَلَةِ مَا شَاءَ)) يعني بعد التشهد والصلاة الإبراهيمية يتخير من الدعاء ما شاء .

- والأفضل أن يكون هذا التخير مما ورد ، والأولى أن يكون ورد في هذا الموضع ، وسيأتي الإشارة إلى بعض ذلك ، يعني في التشهد في آخره قبل السلام جاءت أدعية فالأولى أن يتخير منها ما شاء يعني ما ورد منها في هذا الموضع ؛ هذا في الدرجة الأولى .
- الدرجة الثانية : الأدعية المأثورة عن النبي صلى الله عليه وسلم عموما يتخير منها ما شاء .
- يأتي بالدرجة الثالثة : تخير الإنسان من الدعاء ما شاء من خيري الدنيا والآخرة ما لم يكن في الدعاء الذي دعا به محذور شرعي .

فهذه الدرجات الثلاث يتناولها قوله ((ثُمَّ يَتَخَيَّرْ مِنْ الْمَسْأَلَةِ مَا شَاءَ)) .

وهذا الحديث حديث ابن مسعود هو أصح حديث ورد في هذا الباب ، يعني جاء في التشهد أحاديث عن غير واحد من الصحابة كلها صحيحة ، لكنه أصح ما ورد في هذا الباب هو حديث ابن مسعود ؛ ولهذا الأخذ به أولى من غيره ؛ من أجل كونه أصح ، ومن أجل أن ألفاظه مفصَّلة فهو أكمل من الصيغ الأخرى . وهذا وضَّحه الإمام ابن القيم رحمه الله توضيحًا جميلًا في كتابه الصلاة ، وقد قال الترمذي رحمه الله في كتابه الجامع : «عليه العمل عند أكثر أهل العلم من الصحابة والتابعين» .

قال رحمه الله تعالى :

١٢٦ – عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي لَيْلَى قَالَ : لَقِيَنِي كَعْبُ بْنُ عُجْرَةَ فَقَالَ : أَلا أُهْدِي لَكَ هَدِيَّةً؟ إِنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم خَرَجَ عَلَيْنَا ، فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ قَدْ عَلِمْنَا كَيْفَ نُسَلِّمُ عَلَيْكَ، فَكَيْفَ نُصَلِّي عَلَيْكَ؟ قَالَ: ((قُولُوا: اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى آل إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ ، اللهم بَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ كَمَا بَارَكْتَ عَلَى آل إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ)) .

****

ثم أورد رحمه الله تعالى هذا الحديث عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي لَيْلَى رحمه الله وهو من علماء التابعين قَالَ: ((**لَقِيَنِي كَعْبُ بْنُ عُجْرَةَ** –رضي الله عنه وهو صحابي جليل– **فَقَالَ لِي : أَلا أُهْدِي لَكَ هَدِيَّةً؟**)) وهذا الأسلوب كما لا يخفاكم أسلوب تشويق ، هذا الأسلوب معروف بأسلوب التشويق «أَلا أُهْدِي لَكَ هَدِيَّةً» ؟ قال له ذلك مشوقًا . وعادة كثير من الناس إن قيل له "ألا أهدي لك هدية" ينظر إلى يد المتحدث هل فيها كيس ؟ يحمل كيسا ؟ أو ينتظر أن يدخل يده في جيبه ؛ هذا الذي يُعهد عند كثير من الناس في التهادي ، لكن نوع من التهادي يعد أشرف أنواع التهادي وأحسنه وأجمله ؛ تهادي مسائل العلم وتهادي حديث الرسول عليه الصلاة والسلام هذه أشرف الهدايا وأجلَّها وأنفعها للناس ، ولكن لا يعرف قدر هذه الهدية إلا من عرف قدر العلم .

وبالمناسبة مما حقيقة ينبغي أن ينبه له الحجاج والزوار والمعتمرين أنَّ من أنفع ما يهدونه لقرابتهم على إثر الحج والعمرة الكتب النافعة ؛ مثل كتب التوحيد وكتب الأحكام ، مثل كتاب عمدة الأحكام هذا من أنفس الهدايا ، الكتب التي تبين مثلًا الكبائر للتحذير منها هذه من أنفس الهدايا ، تجد بعضهم يشتري أحيانًا أشياء محرمة وأشياء مثلا محدثة ولا يهدي علمًا ينفع الله سبحانه وتعالى به من أهداه إليه !! انظر مثلا شرف الهدية وجمالها لو أن أحد الزوار اشترى كتابا في التوحيد مثلا فتح المجيد وأهداه إلى إمام المسجد وقال ليتك تقرأ علينا ، وفعل ذلك الإمام وقرأ وصلحت عقيدة الناس وفهموا التوحيد ؛ انظر ما أجملها من هدية وما أعظم نفعها وأكبر عائدتها وبركتها . فهذا النوع من التهادي مكان معروف عند السلف تهادي العلم .

قال : ((**أَلا أُهْدِي لَكَ هَدِيَّةً ؛ إِنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم خَرَجَ عَلَيْنَا فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ قَدْ عَلِمْنَا كَيْفَ نُسَلِّمُ عَلَيْكَ ، فَكَيْفَ نُصَلِّي عَلَيْكَ؟ قَالَ قُولُوا: اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى آل إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ ، وَبَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ كَمَا بَارَكْتَ عَلَى آل إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ**))؛ وهذه الصلاة تعرف بـ«الصلاة الإبراهيمية» ، وهي صيغة علَّمها النبي عليه الصلاة والسلام أصحابه ، وهاهم الصحابة رضي الله عنهم يهدونها للتابعين هدية مباركة من أجمل ما يكون ، ثم لما دُرِس العلم وكثُرت البدع أحدث من أحدث كتبا في الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم قائمة على الإحداث والاختراع والتكلف والتنطع ، ومن أشهر هذه الكاتب "دلائل الخيرات" وأصبح يُطبع طبعات

مؤنقة ومزخرفة ومزينة ، وصاروا يتهادون هذا الكتاب ويتركون هذه الهدية المباركة ؛ الصلاة الإبراهيمية التي علَّمها النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه !! ويتهادون تلك الصلوات المتكلفة المشتملة في مواضع كثيرة على الخرافة والباطل ؛ مثل قوله في بعض الصلوات "اللهم صل على محمد ما ناحت الحمائم ونفعت التمائم" ، النبي صلى الله عليه وسلم يقول : ((مَنْ تَعَلَّقَ تَمِيمَةً فَلَا أَتَمَّ اللَّهُ لَهُ)) ويجعلون في الصلاة عليه أن التميمة تنفع !! وهذا من المحادة لشرعه ولما جاء عنه صلوات الله وسلامه عليه ، يجعلون أن التميمة نافعة يدرجون ذلك في الصلاة عليه وهذا من التمرير للباطل لدى العوام والجهال والطغام ، فهُجرت الصيغة المشروعة المأثورة وأصبحوا يتهادون تلك الصلوات المحدثة ، وهناك أيضا صلاة محدثة يسمونها "الصلاة النارية" ، ومن يقرأها يجد ما فيها مخالفة وبدع ومحدثات ما أنزل الله بها من سلطان ، وثمة صلوات كثيرة أحدثوها أهل الطرق .

فالحاصل أن الصحابة رضي الله عنهم قالوا كيف نصلي عليك ؟ وعلَّمهم ؛ فبعد هذا البيان منه عليه الصلاة والسلام لا يحتاج المرء إلى هذه الأشياء المحدثة والأمور المخترعة التي ما أنزل الله تبارك وتعالى بها من سلطان .

قال : ((**قالوا فَكَيْفَ نُصَلِّي عَلَيْكَ؟ قَالَ قُولُوا: اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى آل إِبْرَاهِيمَ**)) ؛ انظر في الصلاة على محمد فصَّل قال : «اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ» ، ولما ذكر التشبيه بالصلاة على آل إبراهيم قال : «كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى آل إِبْرَاهِيمَ» أجمل . هناك فصَّل وهنا أجمل لماذا ؟ لأن مقام الدعاء يفضَّل فيه البسط ، فالدعاء هنا لمحمد وآل محمد فبسط ، ولما كان ذكر إبراهيم للتشبيه بالصلاة عليه لم يفصِّل وإنما قال : «كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى آل إِبْرَاهِيمَ» ، قوله « عَلَى آل إِبْرَاهِيمَ» يشمل إبراهيم وآله ، فأجمل في مقام الإجمال وفصَّل في مقام التفصيل ، مثله الدعاء بالبركة «وَبَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ كَمَا بَارَكْتَ عَلَى آل إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ» . وفي الصلاة حصول الخير ، وفي البركة نماء الخير وزيادته كما مر معنا في «رحمة الله وبركاته» .

قيل الآل هم : أهل بيته عليه الصلاة والسلام . وقيل : أتباعه الملازمون لنهجه المترسمون لخطاه إلى قيام الساعة . والتعميم في مقام الدعاء أوْلى ؛ حتى يشمل في هذا المقام العظيم كل من كان متبعًا للنبي الكريم عليه الصلاة والسلام إلى قيام الساعة .

وفي الختم بهين الاسمين ختم هذه الصلاة بهذين الاسمين «إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ» ختم في غاية المناسبة ؛ لأن «الحميد» اسم دال على الحمد وهو ثبوت الكمال ونعوت الجلال والثناء العظيم لله سبحانه وتعالى بكمال أوصافه . و«المجيد» اسم دالٌ على السعة ، لأن معنى المجد في اللغة : السعة ، فمعنى المجيد: أي واسع الصفات كثيرها عظيمها سبحانه وتعالى . فلما كان المقام مقام طلب رحمة وسعة في الخير وسعة في الفضل وزيادة في البركة ونماء الخير ختم بما يناسب ذلك من أسماء الله فقال : «إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ» .

قال رحمه الله تعالى :

١٢٧ – عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَدْعُو: ((اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ ، وَمِنْ عَذَابِ النَّارِ ، وَمِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ ، وَمِنْ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ)) . وَفِي لَفْظٍ لِمُسْلِمٍ : ((إِذَا تَشَهَّدَ أَحَدُكُمْ فَلْيَسْتَعِذْ بِاَللَّهِ مِنْ أَرْبَعٍ ؛ يَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ جَهَنَّمَ..)) ثم ذكر نحوه .

****

ثم أورد رحمه الله تعالى هذا الحديث عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: **كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَدْعُو ((اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ ، وَمن عَذَابِ النَّارِ ، وَمِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ ، وَمِنْ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ))** . قال : **وَفِي لَفْظٍ لِمُسْلِمٍ: ((إِذَا تَشَهَّدَ أَحَدُكُمْ))** ؛ وهذا اللفظ في مسلم فيه التصريح بموضع هذه الدعوات الأربع أو هذه التعوذات الأربع أنها تكون في التشهد .

قال : **((إِذَا تَشَهَّدَ أَحَدُكُمْ فَلْيَسْتَعِذْ))** أمْر ؛ ولهذا بعض العلماء ذهب إلى وجوب هذه الاستعاذة من الأربع دبر كل صلاة ، لكن جمهور أهل العلم على أنها سنة مؤكدة .

في هذا التعوذ تعوذٌ من أربع : من عذاب القبر ، ومن عذاب النار ، ومن فتنة المحيا والممات ، ومن فتنة المسيح الدجال ؛ يقول الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى في كتابه الصلاة : «أُمر أن يستعيذ بالله من مجامع الشر كله» يعني انظر هذه التعوذات الأربعة فيها تعوذ بالله من مجامع الشر ، ولهذا خُصت هذه الأربع وشُرع تكرارها دبر كل صلاة قبل أن تسلِّم ، ولا شك أن هذا التكرار يدل على أهمية التعوذ من هذه الأربع خاصة ، يقول : «أُمر أن يستعيذ بالله من مجامع

الشر كله ؛ فإن الشر إما عذاب الآخرة وإما سببه ، فليس الشر إلا العذاب وأسبابه، والعذاب نوعان: عذاب في البرزخ -الذي هو القبر- ، وعذاب في الآخرة» الذي هو النار ، وهنا قال : ((أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ ، وَمن عَذَابِ النَّارِ)) . «وأسبابه -أسباب العذاب بنوعيه عذاب البرزخ وعذاب النار- وأسبابه الفتنة وهي نوعان: كبرى وصغرى ، فالكبرى: فتنة الدجال وفتنة الممات» ، تأمل كلامه فإنه عظيم جدًا ، قال «فالكبرى: فتنة الدجال وفتنة الممات» لماذا كانت كبرى ؟ سيأتي الجواب عنده ، تساءل حتى يرسخ كلام ابن القيم لماذا كانت فتنة الدجال وفتنة الممات دون فتنة المحيا ؟ عدَّ فتنة المحيا فتنة صغرى ، وفتنة الدجال وفتنة الممات فتنة كبرى لماذا ؟ يقول : «فالكبرى: فتنة الدجال وفتنة الممات ، والصغرى : فتنة الحياة التي يمكن تداركها بالتوبة » ؛ فتنة الحياة من شهوة أو شبهة يمكن تداركها بالتوبة ، الإنسان عنده مجال أن يتوب ، لكن فتنة الممات الفتنة التي تقع للإنسان ويعقُبها الموت ، الفتنة التي تقع للإنسان ثم يموت على إثرها هذه فتنة كبرى ما لها حل ، الأولى في مجال قد يحصل له ندم أسف انتباه الخ ، أما هذه الفتنة التي يُفتن والعياذ بالله ويموت هذه لا حل لها . قال : «والصغرى : فتنة الحياة التي يمكن تداركها بالتوبة بخلاف فتنة الممات وفتنة الدجال فإن المفتون فيهما لا يتداركها» ما في مجال للتدارك .

فهذا فيه بيان من ابن القيم رحمه الله فيما يتعلق بهذه الدعوات الأربع ، وله كلام جميل جدًا حول التحيات ومعانيها والصلوات على النبي عليه الصلاة والسلام والتعوذات هذه ، وأيضا ليتخير من الدعاء ما شاء ، وعموما كتاب ابن القيم «الصلاة» كتاب حقيقة جدير بالقراءة ، وإن لم يتيسر للمرء أن يقرأه كامل يقرأ المعاني ، لأنه شرح أفعال الصلاة بدءً من التكبير إلى التسليم شرحًا لا تكاد تجده في كتاب آخر ، حتى إنك إذا قرأته بتأنٍّ وحسن فهمٍ يُحدِث تغيرًا في صلاتك ؛ لأنك ستفهم المعاني والحِكم وأمور كثيرة ما كانت تخطر في بال كثير من الناس .

قال رحمه الله تعالى :

١٢٨ – عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ عَنْ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رضي الله عنهم أَنَّهُ قَالَ لِرَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم : «عَلِّمْنِي دُعَاءً أَدْعُو بِهِ فِي صَلاتِي» ، قَالَ قُلْ: ((اللَّهُمَّ

إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي ظُلْماً كَثِيراً ، وَلا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إلاَّ أَنْتَ، فَاغْفِرْ لِي مَغْفِرَةً مِنْ عِنْدِكَ وَارْحَمْنِي إِنَّكَ أَنْتَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ)) .

****

ثم أورد هذا الحديث عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ عَنْ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رضي الله عنهم ؛ «عنهم» أي عبد الله ، ووالده عمر ، وصدِّيق الأمة .

أَنَّهُ قَالَ لِرَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم : ((**عَلِّمْنِي دُعَاءً أَدْعُو بِهِ فِي صَلاتِي**)) في رواية ثابتة في مسلم ((فِي صَلَاتِي وَفِي بَيْتِي)) ؛ وهذا يفيدنا أن هذا الدعاء الذي علَّمه النبي صلى الله عليه وسلم يشرع أن تقوله في الصلاة قبل أن تسلم ويشرع أن تقوله في بيتك ، تستغفر هذا الاستغفار في بيتك ، والرواية ثابتة في مسلم قال : ((فِي صَلَاتِي وَفِي بَيْتِي)) .

تنبه إلى فائدة مهمة هنا : الذي يقول «عَلِّمْنِي دُعَاءً» من هو ؟ استحضر فضل أبو بكر ومكانته وإمامته وعلمه وفقهه وعبادته وتقواه ، استحضر هذه المعاني كلها ثم انظر إليه يأتي إلى النبي صلى الله عليه وسلم ويقول «عَلِّمْنِي دُعَاءً» !! وهو خير أمة محمد عليه الصلاة والسلام بل خير الناس في جميع الأمم بعد النبيين رضي الله عنه ويأتي إلى النبي صلى الله عليه وسلم يقول «عَلِّمْنِي دُعَاءً أَدْعُو بِهِ فِي صَلَاتِي فِي صَلَاتِي وَفِي بَيْتِي» !! أليس أبو بكر عنده المقدرة على أن يصوغ دعوات وتكون جميلة وجيدة وحسنة ؟ قادر على ذلك لكن انظر كمال التلقي عندهم ، وهذا له نظائر كثيرة علي رضي الله عنه قال للنبي صلى الله عليه وسلم «عَلِّمْنِي دُعَاءً أَدْعُو الله بِهِ» قال : ((قُلِ اللهُمَّ اهْدِنِي وَسَدِّدْنِي)) ، العباس قال : «عَلِّمْنِي دُعَاءً أَدْعُو الله بِهِ» قال ((سَلِ اللَّهَ العَافِيَةَ)) ، ثم جاءه بعد كم يوم قال : «يَا رَسُولَ اللَّهِ عَلِّمْنِي دُعَاءً أدعو الله به »كأنه تقال الدعاء ، قَالَ : «يَا عَبَّاسُ يَا عَمَّ رَسُولِ اللَّهِ، سَلِ اللَّهَ العَافِيَةَ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ» ؛ أعاد له الدعاء نفسه . فكانوا يأتون إليه ويطلبون منه أن يعلِّمهم .

والآن تجد في الأسواق وفي أيدي كثير من الناس كتب في الأدعية جلس بعض المتكلفين وأخذ يُنشئها يصوغها بأسلوب أدبي وبعبارات جميلة ويصوغ أدعية فيها تكلف ، فانظر الفرق الشاسع بين الصحابة رضي الله عنهم وبين هؤلاء المتكلفين ، ولهذا ينبغي أن تُترك هذه الكتب وتُطرح ولا يلتفت إليها التي أنشأها هؤلاء المتكلفون لأن ليس فيها سلامة ، أما أدعية النبي – خذها فائدة– أدعية النبي عليه الصلاة والسلام أدعية معصومة ، الآن تلاحظ بعض الناس

يقول "يا شيخ أنا اعتدت أني أدعو بكذا وكذا وكذا هل فيه شيء ؟ " لماذا هذا السؤال!! لو كان دعاء ثابتا عن النبي عليه الصلاة والسلام لما احتاج أحد أن يقول هل في شي أو ما فيه ؟ ما يحتاج أن يسأل لأنها معصومة إطلاقا ما يتطرق إليها الخطأ هذا من جهة ، من جهة ثانية مهمة أيضا أن أدعية النبي عليه الصلاة والسلام اشتملت على أعلى المطالب وأكمل الغايات والمقاصد بأوجز الألفاظ ، لأنه عليه الصلاة والسلام يأتي بالألفاظ الوجيزة التي تجمع الخير كله ، انظر ماذا جمع قوله ((رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ)) ؛ جمع الخير كله في الدنيا والآخرة بهذا اللفظ الوجيز ، فهاهم الصحابة رضي الله عنهم ما كانوا يتكلفون يأتي «يَا رَسُولَ اللَّهِ عَلِّمْنِي دُعَاءً أَدْعُو بِهِ فِي صَلَاتِي فِي صَلَاتِي، وَفِي بَيْتِي» وهو من هو رضي الله عنه في مكانته وفضله وإمامته .

قَالَ: ((**قُلْ: اللَّهُمَّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي ظُلْماً كَثِيراً**)) من هو هذا الذي قال له النبي صلى الله عليه وسلم قُلْ: اللَّهُمَّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي ظُلْماً كَثِيراً ؟! صديق الأمة خيرها أكملها أكمل الأمة أفضلها رضي الله عنه وأرضاه ، ويقول له النبي صلى الله عليه وسلم ((قُلْ: اللَّهُمَّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي ظُلْماً كَثِيراً)) !! إذًا من لا يبلغ عُشر معشار أبي بكر ، من لا يبلغ ذرة من فضل أبي بكر ومكانته كيف يكون شأنه في الظلم للنفس ؟! إذا كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول لأبي بكر ((قُلْ: اللَّهُمَّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي ظُلْماً كَثِيراً)) ، ربما بعض الناس لو قيل له : قُلْ اللَّهُمَّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي ظُلْماً كَثِيراً ؛ ربما يقول في نفسه : ما هو الظلم الكثير الذي عندي ؟ ما أعرف عن نفسي أني عندي ظلم أنا !! فسبحان الله .

قال ((**قُلْ: اللَّهُمَّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي ظُلْماً كَثِيراً**)) في هذا الدعاء أولًا المعرفة بالنفس بالقصور والتقصير والنقص والظلم ، يعرف الإنسان نفسه من هو وهو يطلب من الله المغفرة ؛ أولا اعرف من أنت وأنت تطلب من الله المغفرة ، اعرف من أنت؟ أنت إنسان مقصر ظلوم عندك خطأ عندك ذنوب ، اعرف نفسك بالظلم بالخطأ بالتقصير اعرف نفسك بذلك ، هذه وسيلة تتوسل بها إلى الله ((اللَّهُمَّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي ظُلْماً كَثِيراً)) ليس قليلا بل ظلم كثير ، اعترف واعرف نفسك بهذا ، والاعتراف بالذنب والتقصير بوابة التوبة ، ولهذا في سيد الاستغفار قال : ((أَبُوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ، وَأَبُوءُ لَكَ بِذَنْبِي)) أي اعترف بأني مذنب ، هذه بوابة التوبة .

فهذا أولًا : معرفة النفس ؛ ((**ظَلَمْتُ نَفْسِي ظُلْماً كَثِيراً**)) .

ثانيًا : ((**وَلا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إلاَّ أَنْتَ**)) هذا معرفة الرب ، تعرف نفسك بالظلم الكثير ، وتعرف ربك بالمغفرة العظيمة الواسعة الكبيرة ، تعرف ربك بأنه واسع المغفرة سبحانه وتعالى ، أنت ظلمت نفسك وظلمك كثير ، أيضًا اعرف ربك بأنه واسع المغفرة لا يتعاظمه ذنب ولا تتعاظمه كثرة الذنوب أن يغفرها ؛ ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [الزمر:٥٣] .

قال ((وَلا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إلاَّ أَنْتَ)) كما في القرآن ﴿وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ﴾ [آل عمران:١٣٥] فهو وحده سبحانه وتعالى الذي بيده مغفرة الذنوب . هذا الأمر الثاني .

الأمر الأول: قلنا معرفتك بنفسك بالظلم والتقصير والخطأ .

المعرفة الثانية : معرفتك بربك بالعفو والمغفرة والصفح مهما عظمت الذنوب .

الأمر الثالث : المطلوب ما هو ؟ ((**فَاغْفِرْ لِي**)) بعد هذه التوسلات تتوسل إلى الله بتقصيرك ، وتتوسل إلى الله عز وجل بأنه واسع المغفرة لا يغفر الذنوب إلا هو ، ثم تذكر مطلوبك وهو المغفرة ((**فَاغْفِرْ لِي**)) ، ما هي هذه المغفرة التي تريدها من الله ؟

قال : ((**مَغْفِرَةً مِنْ عِنْدِكَ**)) يعني فضل منك لا يبلغها عملي ، عملي لا يبلغ هذه المغفرة ، فأنا أريد منك يا الله مغفرةً تمن علي بها ، أما عملي أنا ما يبلغها ، هذا معنى قولك ((مَغْفِرَةً مِنْ عِنْدِكَ)) أي أنا مقصر عملي لا يبلغ لكن أريد فضل منك يا ربي تمن به عليَّ منًا وتفضلا . أسأل الله عز وجل لنا أجمعين في هذه الساعة مغفرةً من عنده .

((**فَاغْفِرْ لِي مَغْفِرَةً مِنْ عِنْدِكَ وَارْحَمْنِي**)) هذا المطلوب الثاني ؛ المغفرة فيها زوال المكروه ، والرحمة فيها حصول المحبوب ، فالعبد يريد محو الذنوب ويريد ماذا أيضا ؟ بالمغفرة يريد محو الذنوب ، وبالرحمة يريد حصول الخير والبركة والنعمة والفضل إلى غير ذلك ، فهو يريد محو الذنب ويريد أيضا حصول المن والنعمة والإكرام . ((فَاغْفِرْ لِي مَغْفِرَةً مِنْ عِنْدِكَ وَارْحَمْنِي)) .

ثم ختم بهذين الاسمين ((**إِنَّكَ أَنْتَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ**)) ؛ وهذا على القاعدة أن الدعوات تختم من أسماء الله تبارك وتعالى بما يناسبها ، مثل ما مر معنا إنك حميد مجيد جاء مناسبا للمطلوب ، وهنا لما كان المطلوب الرحمة والمغفرة ختم بقوله ((إِنَّكَ أَنْتَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ)) .

ولشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى رسالة قيمة جدا ونافعة لطالب العلم خاصةً في شرح هذا الحديث حديث أبي بكر ، وهي موجودة ضمن مجموع فتاواه رحمه الله تعالى .

قال رحمه الله تعالى :

١٢٩ – عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: « مَا صَلَّى النبي صلى الله عليه وسلم بَعْدَ أَنْ أُنْزِلَتْ عَلَيْهِ {إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ} إِلاَّ يَقُولُ فِيهَا : ((سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا وَبِحَمْدِكَ ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي)) » . وَفِي لَفْظٍ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يُكْثِرُ أَنْ يَقُولَ فِي رُكُوعِهِ وَسُجُودِهِ : ((سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا وَبِحَمْدِكَ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي)) .

****

ثم ختم رحمه الله تعالى هذا الباب بحديث أم المؤمنين عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ : « **مَا صَلَّى النبي صلى الله عليه وسلم صلاةً بَعْدَ أَنْ أُنْزِلَتْ عَلَيْهِ** ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ **إِلاَّ يَقُولُ فِيهَا: ((سُبْحَانَكَ رَبَّنَا وَبِحَمْدِكَ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي))** ». قال : **وَفِي لَفْظٍ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يُكْثِرُ أَنْ يَقُولَ فِي رُكُوعِهِ وَسُجُودِهِ: ((سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا وَبِحَمْدِكَ ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي))** ؛ في هذا اللفظ الآخر الذي أشار إليه فيه التعيين ؛ تعيين موضع النبي صلى الله عليه وسلم لهذه الألفاظ من صلاته ، لأنه كان يقول ذلك صلوات الله وسلامه عليه في ركوعه وسجوده .

وختّم الإمام عبد الغني المقدسي رحمه الله تعالى لهذا الباب المتعلق بالتشهد في آخر التشهد بهذا الحديث يُشعر والله تعالى أعلم أنه يرى أن ذلك يؤتى به في آخر الصلاة قبل السلام ((مَا صَلَّى النبي صلى الله عليه وسلم)) ، وإلا فإن موضع هذا الحديث عند أذكار الركوع والسجود ، لكن ذكره في هذا الموضع يُشعر أنه يرى أنه يقال في آخر الصلاة قبل السلام ، ومن وجد شيئًا حول ذلك في الشروحات أو غيرها فليُفِد به جزاه الله خيرا .

قالت عائشة رضي الله عنها : **مَا صَلَّى النبي صلى الله عليه وسلم صلاةً بَعْدَ أَنْ أُنْزِلَتْ عَلَيْهِ** ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ (١) وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا (٢) فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾ أي أن هذه السورة وكانت من أواخر ما نزل على النبي عليه الصلاة والسلام ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ فتح مكة، ﴿وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا﴾ هذا إشعار للنبي صلى الله عليه وسلم بأن البلاغ تم وعُرف الدين وبدأ الناس يدخلون

في الدين أفواجا تلو أفواج ، فهذا مُشعر بأنه أتم ما أُمر به من بلاغ دين الله ، هذه السورة فيها إشعار للنبي صلى الله عليه وسلم بأنه أتم ما أمر به من إبلاغ دين الله سبحانه وتعالى ، فأمَرَه الله أن يختم هذا التمام والإكمال بقول : ((سُبْحَانَكَ رَبَّنَا وَبِحَمْدِكَ ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي)) ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾ فأمر بأن يختم حياته بذلك ، فعمِل بذلك عليه الصلاة والسلام ؛ ((**مَا صَلَّى النبي صلى الله عليه وسلم صلاةً بَعْدَ أَنْ أُنْزِلَتْ عَلَيْهِ {إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ} من صلاة إلاَّ يَقُولُ فِيهَا : سُبْحَانَكَ رَبَّنَا وَبِحَمْدِكَ ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي**)) ؛ وكان يكثر أن يقول ذلك في ركوعه وسجوده صلوات الله وسلامه عليه ، وجاء في بعض الفاظ الحديث ((يتأول القرآن)) ، ومعنى يتأول القرآن : أي يفعل ما طُلب منه فعله في القرآن ، لأن الله قال ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ﴾ فكان يُكثر من ذلك عليه الصلاة والسلام ولاسيما في ركوعه وسجوده ؛ يتأول القرآن صلوات الله وسلامه وبركاته عليه .

قوله ((**سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا وَبِحَمْدِكَ**)) فيه جمْع بين التنزيه والثناء ؛ لأن «سبحانك» هذا تقديس ؛ تنزيه لله عن النقائص والعيوب وعن كل ما لا يليق به ، كما قال تعالى ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [الصافات:١٨٠] أي تنزه وتقدس عما يصفه به أعداء الرسل ، فقوله ((**سُبْحَانَكَ**)) هذا فيه التنزيه .

وقوله ((**وَبِحَمْدِكَ**)) فيه إثبات الكمال لله ، وعلى هذا يقوم توحيد الأسماء والصفات ، توحيد الأسماء والصفات يقوم على التنزيه والإثبات ؛ تنزيه الله عن النقائص ، وإثبات الكمال لله .

وفي قوله ((**اللَّهُمَّ رَبَّنَا**)) ؛ «اللهم» هذا فيه توحيد الألوهية ، و«ربنا» فيه توحيد الربوبية ، فجمعت هذه الكلمة ((**سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا وَبِحَمْدِكَ**)) جمعت أنواع التوحيد الثلاثة ، على وجازتها جمعت أنواع التوحيد الثلاثة ؛ أما الأسماء والصفات ففي قوله ((**سُبْحَانَكَ ، وَبِحَمْدِكَ**)) ، والربوبية في قوله ((**رَبَّنَا**)) ، والألوهية في قوله ((**اللَّهُمَّ**)) ، فجمعت أنواع التوحيد الثلاثة مع وجازة هذه اللفظة .

((اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي)) هذا طلب المغفرة مغفرة الذنوب والتجاوز عنها ، وهي كلمات عظيمة جامعة فيها التوحيد وفيها طلب الغفران ، وكثيرا ما يتلازم التوحيد وطلب الغفران ، مثل ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ هذا التوحيد ﴿وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ﴾ [محمد:١٩] هذا طلب الغفران ، التوحيد يمحو

الشرك ، وطلب الغفران يمحو الذنوب ؛ وهذا وجه كثرة الجمع بينهما ، مثل سيد الاستغفار ((اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي لاَ إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، خَلَقْتَنِي وَأَنَا عَبْدُكَ، وَأَنَا عَلَى عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتُ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ، أَبُوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ، وَأَبُوءُ لَكَ بِذَنْبِي فَاغْفِرْ لِي، فَإِنَّهُ لاَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ)) جمع بين التوحيد وطلب الغفران .

ونسأل الله الكريم رب العرش العظيم بأسمائه الحسنى وصفاته العليا وبأنه الله الذي لا إله إلا هو أن يغفر لنا أجمعين ذنبنا كله ؛ دقه وجله ، أوله وآخره ، علانيته وسره ، اللهم اغفر لنا ولوالدينا ولمشايخنا وللمسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات الأحياء منهم والأموات ، اللهم آت نفوسنا تقواها ، وزكها أنت خير من زكاها أنت وليها ومولاها ، اللهم أصلح لنا ديننا الذي هو عصمة أمرنا ، وأصلح لنا دنيانا التي فيها معاشنا ، وأصلح لنا آخرتنا التي فيها معادنا ، واجعل الحياة زيادة لنا في كل خير ، والموت راحة لنا من كل شر . اللهم آمنا في أوطاننا وأصلح أئمتنا وولاة أمورنا ، واجعل ولايتنا فيمن خافك واتقاك واتبع رضاك يا رب العالمين . اللهم وفق ولي أمرنا لما تحبه وترضاه من سديد الأقوال وصالح الأعمال يا رب العالمين ، اللهم ول على المسلمين أينما كانوا خيارهم واصرف عنهم شرارهم يا رب العالمين . اللهم جنِّبنا والمسلمين الفتن ما ظهر منها وما بطن وأصلِح لنا ولهم شأننا كله ولا تكلنا إلى أنفسنا طرفة عين . اللهم إنا نسألك الثبات في الأمر والعزيمة على الرشد ، ونسألك موجبات رحمتك وعزائم مغفرتك ، ونسألك شكر نعمتك وحُسن عبادتك ، ونسألك قلبًا سليمًا ولسانًا صادقا ، ونسألك من خير ما تعلم ، ونعوذ بك من شر ما تعلم ، ونستغفرك لما تعلم إنك أنت علام الغيوب . اللهم اقسم لنا من خشيتك ما يحول بيننا وبين معاصيك ، ومن طاعتك ما تبلغنا به جنتك ، ومن اليقين ما تهوِّن به علينا مصائب الدنيا ، اللهم متعنا بأسماعنا وأبصارنا وقوتنا ما أحييتنا واجعله الوارث منا ، واجعل ثأرنا على من ظلمنا وانصرنا على من عادانا ، ولا تجعل مصيبتنا في ديننا ، ولا تجعل الدنيا أكبر همنا ولا مبلغ علمنا ، ولا تسلط علينا من لا يرحمنا .

سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك .

اللهم صلِّ وسلم على عبدك ورسولك نبينا محمد وآله وصحبه.